آراء أبي العلاء المعري في الحياة و الموت والزواج والمرأة من خلال شعرهً

د. يوسف محمد أبكر أحمد

مستخلص الدراسة:

تعرضت هذه الدراسة لآراء الشاعر أبي العلاء المعري في فلسفة الحياة والموت والزواج والنسل والمرأة ، وذلك من خلال شعره ، لقد تعرض أبو العلاء المعري لظروف معقدة في بداية حياته ، هذه الظروف شكلت أفكار وآراء المعري فيما بعد ،فكان أن ترك الزواج جملة واحدة ودعا الى قطع النسل وتوقف الحياة الإنسانية، فالحياة عنده قاتمة وهي مصدر الشقاء ،أما الموت فهو راحة للجسم من تعب الحياة الدنيا

نتائج البحث:

خرج هذا البحث بعدة نتائج أهمها:

١- المصائب والظروف المعقدة التي مرّ بها أبو العلاء المعري هي التي شكلت آراءه في الحياة والمرأة والموت.

٢- لم يكن العزوف عن الزواج عنده نتيجة مرض أو علة بل كان عنده شيئاً قريباً من العقيدة والمنهج .

منهج البحث:

لقد أتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وكذلك المنهج التاريخي.

مقدمة :

كثرت الآراء والأحاديث عند كثير من دارسي الأدب والنقد حول شخصية أبي العلاء المعري ، وطرحت أسئلة كثيرة بين الدارسين تبحث عن أسباب تزمت الرجل وتشاؤمه في الحياة.

لقد حاول الباحث في هذه الدراسة الوقوق على آراء أبي العلاء في الحياة والموت والمرأة وسبر أغوارها عله يصل إلى قراءة تقربه من حقيقة هذه الآراء وذاك التشاؤم في حياته.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- الوقوف على آراء أبي العلاء المعري في الموت والحياة والزواج والمرأة.

٢- محاولة الإجابة على سبب عزوفه عن الزواج وتبني رأي متشدد حيال المرأة

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع في أنه يعالج أحد القضايا الشائكة في شعر أبي العلاء وهي موقفه من الموت والحياة والزواج والمرأة.

كما تتمثل أهمية الموضوع في أنه عالج هذه القضايا من خلال شعر أبي العلاء نفسه .

عرض الموضوع:

أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم ابن النعمان بن عمران بن الحاف بن فضاعة(ياقوت الحموي ، ١٩٩٣م ، ٢٩٥/١).

كانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمعرة(ابن خلكان ، ١/ ١١٣)

وعمي بالجدري أول سنة سبع وستين ، غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة (ابن خلكان ، ١/ ١١٣).

قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر ثم رجع إلى بلده (معجم الأدباء ٢٩٥/١.)

نشأ المعري في بيت علم ودين وقضاء وهذه النشأة هي التي مهدت له السبيل ليكون أحد ابرز علماء وأدباء وشعراء زمانه .

كان سليمان بن احمد بن سليمان جده قاضي المعرة ، وتولى القضاء بحمص وبها مات في سنة ستة وتسعين ومائتين ثم ولي

القضاء بعده ولده ابو بكر محمد عم والد أبي العلاء. (معجم الأدباء ٢٩٥/١.)

لُقِّب أبو العلاء بالمعري ،وهذه النسبة إلى معرة النعمان وهي بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة ، وهي منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه ، فإنه تدبرها فنسبت إليه(ابن خلكان ١١٤/١،)

كان أبو العلاء المعري شديد التواضع ، قليل الاعتداد بنفسه ، شديد الازدراء لها ، يرى أن الذين دعوه بكنيته هذه قد أخطأوا وأسرفوا على أنفسهم وعلى الناس ، وكان الحق عليهم أن يدعوه " أبا النزول" :

دُعِيتُ أَبَا العَلاءِ وذَاكَ مَيْنٌ
وَلَكنَّ الصَّحِيحَ أبو النُّزُولِ(حسين وآخر٢/١)

وكان أبو العلاء آية خارقة في الذكاء وقوة الحافظة حتى قالوا إنه كان يلعب النرد والشطرنج وإذا سمع حديثاً بلغة غير العربية حفظه بحذافيره، وقد تحول يعب وينهل من ثقافات عصره حتى استوعبها جميعاً سواء المترجم عن اليونانية من فلسفة وغير فلسفة، أو المترجم عن الفارسية والهندية فكل ذلك مضافاً إلى الثقافتين: الإسلامية والعربية فمثله أبو العلاء تمثيلاً حياً خصباً يرفعه إلى أعلى منزلة ، يتمثل صاحبها التراث الإنساني جميعه(ضيف ، ص١٦٨) .

وقال عنه ابن الأنباري : كان غزير الفضل وافر الأدب ، عالماً باللغة ، حسن الشعر ، جزل الكلام ، وكان ضريراً أعمى ولم يكن أُكْمَهَ كما توهمه من لا علم له(ابن الأنباري ، ص٢٥٩)

كان عجيبا في الذكاء المفرط والاطلاع على اللغة ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه ، فكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر ، ،أخذ العربية من أصحاب ابن خالويه وعلى والده ومحمد بن سعد النحو وكان قانعاً باليسير كان له وقف يحصل منه في العام نحو ثلاثين ديناراً قرر منها لمن يخدمه النصف (العسقلاني ، ص ٨٤).

نشأ شاعرنا متقشفاً لا يأكل من الطعام إلا أنواعاً متواضعة ، قال عنه ابن حجر العسقلاني : " وكان غذاؤه العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه لباداً"(العسقلاني ، ص ٨٤).

سافر الى بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فسمعوا منه ديوانه المسمى بسقط الزند وعاد إلى المعرة سنة أربعمائة فلزم منزله وسمى نفسه رهين المحبسين يعني منزله وبصره وقصد من النواحي ويقال انه كان يحفظ ما يمر بسمعه وسمع من يحيى بن مسعر التنوخي صاحب أبي عروبة جزءاً من أبي الفتح محمد بن الحسين صاحب خيثمة (العسقلاني ،ص ٨٤).

ونشأ أبو العلاء على غير نشأة أهله حيث حرم على نفسه طيبات كثيرة قال عنه السلفي:" من عجيب رأي أبي العلاء تركه كل مأكول لا تنبته الأرض شفقة على الحيوانات حتى نسب إلى التبرهم وأنه يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع (العسقلاني ، ص ٨٤).

وكان لا يأكل إلا في مغارة منفرداً وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطلبة بأنه كان ليس له سعة " وقد علق ابن حجر على ذلك بقوله "أهل اليسار بالمعرة يعرفون بالبخل "(العسقلاني ، ص ٨٤)

وكان قارئاً للقرآن عالماً قال عنه السلفي "سمعت أبا زكريا التبريزي يقول : أفضل من قرأت عليه أبو العلاء" (الذهبي ٣٣/١٨،)

وقد ذكر ابن خلكان رحلتين لأبي العلاء إلى بغدد الأولى كانت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ودخلها ثانية سنة تسع وتسعين وأقام بها سنة وستة أشهر ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الأفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار ويسمي نفسه " رهين المحبسين للزومه منزله ولذهاب عينيه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين (ابن خلكان ، ١١٤/١)

توفي يوم الجمعة ثالث – وقيل ثاني – شهر ربيع الأول وقيل ثالث عشر ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة . وقد أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

هَـذَا جَـنَاهُ أبِـيْ عَـلَـيَّ
وَمَـا جَنَيْتُ عَلَـى أَحَـــد(ابن خلكان ، ١١٤/١)

وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث : اكتبوا عني ، فتناولوا الدوي والأقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبدالله التنوخي : أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت ، فمات في ثاني يوم (ابن خلكان ، ١١٥/١) .

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني قوله: سمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفذاذ الزمان يقول لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً وختم في أسبوع واحد مئتا ختمة

أولا: الحياة :

واجه أبو العلاء المعري منذ نعومة أظافره حياة صعبة فأصيب بالجدري الذي أودى بنظره فحرم متعة النظر والتلذذ بمباهج الحياة ومفاتنها ثم مات أبوه وهو صغير وما كادت جراحه تلتئم بفقد أبيه حتى فجع بمصيبة أكبر وهي موت والدته الأم الرءوم حيث سمع بخبر مرضها وهو في بغداد فشد الرحال إلى المعرة ولكن المنية عاجلتها قبل أن يراها .

وليت همومه ومصائبه قد توقفت عند هذا الحد فقد ناصبه كثير من الناس العداء وأصبح محسوداً مبغضاً عند كثير من الناس في عصره .

وقد أحدثت هذه الهموم ردود أفعال شديدة في حياته ونظرته للحياة والناس فأصبح يصور الحياة بصورة قاتمة فما هي إلا أطوار من البلاء والشقاء . يقول:

وَقَدْ بَلَوْنَا العَيْشَ أَطْوَارَهُ
فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ غَيْرَ الشَّقَاء(اللزوميات ١/٦٧).

واخذ يتبرم من الحياة وجرعاتها القاتلة يقول:

أرى جرعَ الحياةِ أمرَّ شيءٍ،
فشاهدْ صِدْقَ ذلك، إذ تقاءُ(اللزوميات ١/٥٥)

وكان يفضل الموت على الحياة ولكي يستريح الجسم من العذاب المتجدد في الدنيا، يقول:

والعيشُ داءٌ وموتُ المرءِ عافيةٌ
إنْ داؤه بتواري شخصه حُسِما
(اللزوميات، ٢/٢١٩)

والدنيا عنده دار للمصائب :

وَرَدْتُ إِلَى دَارِ المَصَائِبِ مُجْبَراً
وأَصْبَحتُ فِيهَا لَيسَ يُعْجِبُنِي النَّقلُ
أُعَانِي شُرُوراً لأقوام بِمثلِها
وأَدْنَاسَ طَبْعٍ لا يُهذبُه الصَّقْلُ
(اللزوميات ٢/١٤٩)

فهذه الدنيا التي كلها مصائب وشقاء لم يكن من الخير إلا الشيء اليسير فهو جزء من ألوف كثيرة ، فالجهلاء هم الذين يسمونها دار سرور ، يقول:

تُسمى "سروراً" جاهل متخرصٌ
بغية البرى هل في الزمان سرورُ؟
نعم ثم جزء من ألوف كثيرة
من الخير والأجزاء بعد
شرور(اللزوميات ، ١/٣٤٨)

فالحياة حمل ثقيل يرزح تحته الإنسان ما دام حياً يقاسي آلامها ويعاني من شقائها، يقول:

أراني في قيد الحياة مكلفاً
ثقائل أمشي تحتها وأطابق(اللزوميات، ٢/٧٧)

أما المتكالبون على الدنيا المستمرئون لها فهم كلاب عند أبي العلاء المعري تلغ في إناء مملوء بشراب خبيث :

ودنياك مثل الإناء الخبيث
وصاحبها مثل كلب وَلَغْ (اللزوميات، ٢/٤٧)

والإنسان عند المعري مهما بلغ من أمل في حياة رابحة سعيدة فهو إلى الخسارة اقرب.

ويأمَلُ سَاكِنُ الدُّنْيَا رَباحاً
وليسَ الحَيُّ إلّا في خَسَار(اللزوميات ، ١/٤٦٩)

وفي إحدى قصائد درعياته يحذر أبو العلاء المعري من الدنيا ويذمها ، يقول:

ومن سرّه ثوب يعز بلبسه
فلا تجر منه أم دفر على بال
هلوك تهين المستهام بحبها
وتلقى الرجال المبغضين بإجلال(سقط الزند ،ص ٣٤٧)

وقد أعلن أبو العلاء رفضه للحياة وحرص على ألا يعاني غيره من مصائب الدنيا وشقوة الحياة ويجنى عليه كما جنى عليه أبوه فيقول :

هِيَ الدُّنْيَا إذا طُلِبَتْ أَهَانَتْ
وَعَالت والفَريضةُ ذاتُ عَوْلِ
فما أنا ساعياً فيها لغيري
ولا أحمدتُ أقواماً سَعوا لي(اللزوميات ٢/٢٣٥)

وكان يرى أن الإنسان إذا دعا لك بالحياة فإنما دعا عليك ، يقول:

دَعَا لي بالحَياة أَخُو وِدَادٍ
رُوَيْدَكَ إنَّما تَدْعُو عَلَيَّا (اللزوميات ٢/٥٤١)

ولم يتوقف أبو العلاء المعري عند هذا الحد بل مضى يعرِّي الحياة للناس ويكشف مساوئها ويدعوهم للإعراض عن الدنيا نظراً لانعدام الخير فيها ، يقول:

لو كنتَ رائدَ قوم، ظاعنينَ إلى
دُنياكَ هذي، لما ألفَيتَ كذّابا
لقلتَ: تلكَ بلادٌ، نبتُها سَقَمٌ،
وماؤها العذبُ سمٌّ، للفتى، ذابا
هي العذابُ، فجُدُّوا في ترَحّلكم
إلى سواها، وخلّوا الدّارَ إعذابا
وما تهذّب يومٌ من مكارهها،
أو بعضُ يوم، فحُثّوا السيرَ إهذابا
خَبَّرْتُكم بيقينٍ غيرِ مؤتشَبٍ،
ولم أكنْ في حبالِ المينِ جذّابا(اللزوميات ١/١٠٧)

فلأنه يشفق على الناس يعلن لهم أنه لو كان قائداً لهم ودليلاً للماء والكلأ والخير في الدنيا لما أرشدهم إليها لكونها على حد قوله خالية من النفع وكل ما

فيها ضار فماؤها سم زعاف ونبتها سقام فيجب أن يهجروها حتى لا يصابوا بأذاها فالدنيا عند أبي العلاء بغيضة وهي دار ألم واوجاع وشدائد ومصائب وعلى الإنسان أن يرحل عنها سراعاً.

ثانياً: الموت

كما إن الموت سنة الحياة فهو عند المعري داء يصيب كل مخلوق ولا علاج له في الطب قط كما لا ينجو من قبضته احد ولكنه لطف لله.

لله لطف خفيٌّ في بريته
أعيا دواء المنايا كل نطّيس(اللزوميات ٥٧١/١)

ولا ينجو من الموت أحد ولا أحد كذلك يمكنه إنكار الموت:

والموت أصدق حادث وأصحه
وكأنه كذب ينسر فينغم(اللزوميات ٣٠٢/٢

ومن العبث أن يحاول بعض الناس دفع الموت عنهم فإن لكل انسان أجلاً مسمى:

يحاولُ طيناً أرمنياً، لَعَلَّهُ
يُدافعُ عَن حَوْبائه قَدَراً حُمّا
لهُ أجلٌ، إن حانَ لم تَثنه الرُّقَى
وإن لم يَحِنْ لم يخشَ من شربه السُّمَّا

ففي قوله " له أجل" إشارة إلى قول الله تعالى " ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" (سورة الأعراف ، الآية ٣٤)

ومهما طال بك العمر فلا محالة إنك ميت لأن الموت فرضه الله للبشرية جمعاء .

وللموت كأس تكره النفس شربها
ولابد يوماً أن تكون له شربا
(اللزوميات،١٠٠/١)

ويذكر المعري أن الموت قدر محتوم على الأحياء كلها فهو كالوادي الذي لا محالة سنهوي به جميعاً لكننا في غفلة عن الزاد الكافي لهذا المصير المحتوم ، يقول :

وادٍ من الموت الزّؤام، وكلُّنا
أشفى ليُدْفَعَ فوق جُرفِ الوادي
سفَرٌ يطولُ، من الأنام، على كرَى
منْ غفلةٍ، وكرًى من الأزواد
(اللزوميات،٣٢٣/١)

فالموت فضيلة عند أبي العلاء على الرغم من أن الناس يخافونه وذلك لأنه طريق صعب لا يجتازه المرء متى شاء ولو لم يكن الموت نفسياً لسهل نواله مثل سهولة عدوان اللئيم على الضعيف ، يقول :

ويدلني أن الممات فضيلةٌ
كون الطريق إليه غير ميسّر
لولا نفاسته لسُهِّل نهجه
كأذى الضعيف على لئيم المكسر
(اللزوميات٤٧٤/١)

وقد أشار المعري إلى أن الموت راحة للجسم من عناء الحياة بقوله :

ضجعة الموت رقدةٌ يستريح ال
جسم فيها والعيش مثل السها(سقط الزند ص١٣٨)

يقول:

ومالي أخاف طريق الردى
وذلك خير طريق سُلكْ
يريحك من عيشة مرة
ومالٍ أُضيع ومالٍ مُلكْ
(اللزوميات١٥٤/٢)

فهو يتكلم في شعره عن الموت وما بعد الموت وما يواجهه الانسان في القبر ، كما أنه لا ينسى اليوم الآخر ، والحديث عنه في شعره في مواطن كثيرة لا يسمح المجال هنا بالتطرق إليها جميعاً .

ثالثاً: المرأة والزواج والنسل:

عندما أخفق أبو العلاء المعري في محاولة إصلاح الحياة البشرية واستحوذ عليه اليأس والقنوط واخذ يحقر الناس ويصفهم بالقذارة واستنكر وجود الناس الطاهرين يقول:

أيوجَدُ، في الورى، نفرٌ طَهارى،
أم الأقوامُ كلُّهمُ رُجُوسُ؟
(اللزوميات٤٦٠/١)

يري الباحث أن هناك أشياء خفية في حياة الشاعر قادته إلى كل هذا التشاؤم وإلا كيف يشك عالم وفيلسوف وأحد أعظم رجال القرن الخامس الهجري في البشرية كلها وأنهم رجوس غير أطهار.

وقد دب هذا اليأس في نفس شاعرنا حتى تمنى على آدم وبنيه أن لم يخلقوا من قبل فقال:

خيرٌ لآدم والخَلْق الّذي خَرَجُوا
مِنْ ظَهْرِهِ أنْ يَكُونُوا قَبْلَ مَا خُلقوا
(اللزوميات٥٥٤/١)

يرى المعري أن سبب الشقاء الذي تعايشه البشرية جمعاء يعود إلى آدم وحواء بتلك المعصية التي اقترفاها بأكلهما من تلك الشجرة بغواية إبليس لهم وهبطا بفعلتهما إلى الأرض حيث تعاقب النسل وتوارثت الأجيال بعدهما الشقاء في الدنيا فهو – أي الشاعر– ينحي باللائمة على آدم عليه السلام بقوله :

سعَى آدَمُ جَدُّ البريةِ في أذًى
لذرّيّة، في ظهْره، تُشبهُ الذَّرّا
تلا النّاسُ، في النّكراء، نهجَ أبيهمُ،
وغُرَّ بنُوهُ، في الحياة، كما غُرّا
(اللزوميات٤٠٥/١)

ويقول:

حواء أعطت بنتها البؤس وابنها

لآدم يغذى بالشقاء ويؤدم
(اللزوميات٢/٢٧٤)

ونظرة أبي العلاء المعري إلى المرأة نظرة قاتمة باعتبارها مبعثاً للأذى والشقاء حتى انه تمنى ألا تحبل النساء من أجل وقف النسل ، يقول:

أرَى حَبْلاً حَادثاً في النِّسَاء
حَبْلٌ أذَاهُ بهنَّ اتَّصَلْ
أتَى ولَدٌ بسِجِلِّ العَنَاء
فَيا لَيْتَ وَارِدَهُ لَمْ يَصَلْ

وكان أبو العلاء قد حمّل المرأة مسؤولية الفساد الكبرى في المجتمع وهي سبب غواية الرجل وفتنته تتعرض له بدلها وزينتها وبموقعها من قلبه(فرّوخ،١٩٩٦،ص١٩). وقد أسهب المعري في تصوير المرأة الفاتنة وهي تتهادى في حللها وزينتها واعتبر بداية الفتنة بينها وبين الرجل رد السلام ، يقول:

ولا تُرجِعْ بإيماء سلاماً
عَلى بيضٍ أشرن مسلّمات
أولات الظلم جئن بشر ظلم
وقد واجهننا متظلمات
وسام ما اقتنن بحسن أصل
فجئنك بالخضاب موسمات
رأينَ الورد في الوجنات حَيماً
فغادين البنات معتمات
وشنفنَ المسامعَ قائلات
وكلمنَ القلوبَ مُكلّمات
(اللزوميات١/١٨٩)

ويلاحظ أن المعري كان شديد الغيرة على النساء ، فدعا للحفاظ عليهن كي لا تنتشر الفاحشة بين الناس يقول:

بَرِئْتُ إلَى الخَلّاقِ من أهْلِ مَذْهَبٍ يَرَوْنَ من الحَقِّ الإبَاحَةِ في الأهْلِ(اللزوميات٢/٢٠٧)

وكان شاعرنا حريصاً غيوراً على المرأة فهو يحدد لها حتى لا تعم الفوضى والسبل التي يجب أن تسلكها حتى تخرج بنفسها إلى بر السلامة فيجب عليها أن تأخذ العلم لا سيما القراءة من الشيوخ كبار السن كما أوصى على منعهن من مشاهدة الأعراس حتى لا يتأثرن بزينة العروس ويتبرجن ، يقول :

ليأخذنَ التّلاوةَ عَنْ عَجُوز
منَ اللائي قَعَرنَ مُهتّمات
يُسبّحنَ المليكَ بكلّ صُبح
ويركضنَ الضُّحَى مُتأثمات
فَما عَيْبٌ على الفتيات لحنٌ
إذا قلنَ المُرَادَ مُتَرْجِمَات
ولايُدنين من رَجُلٍ ضَرير
يُلقّنهنَّ آياً مُحكَمات
سوى من كان مرتعشاً يداه
ولمته من المتثغمات
وإن طاوعنَ أمْرَك فانْهَ غيداً
يَزُرْنَ عرائساً مُتيمِمَات
أخذنَ كَرِيْش طاؤوس لباساً
ومسكاً بالضحى متلغّمات
(اللزوميات١/١٩٤)

بالإضافة إلى ذلك فقد وضع ضوابط تنظيم العلاقة بين الأولاد والنساء ، فلا يجيز إطلاع الأولاد على النساء بعد سن العاشرة من عمرهم وقاية لهم من الافتتان بهن وشقائهم جراء ذلك الاختلاط لأن النساء حبالاً للغي ، يقول:

إذا بلغ الوليد لديك عشراً
فلا يدخل على الحرم الوليدُ
فان خالفتني وأضعت نصحي
وأنت وإن رزقت صحبى بليدُ
ألا إن النِّسَاءَ حَبَالُ غَيٍّ بهنَّ
يُضيَّع الشَّرَفُ التَّلِيْدُ (اللزوميات٢/٧٨)

وكان المعري يزهد في المرأة فينصح من يريد الحظوة بثواب الله بعدم الزواج من المرأة ، فالبكرة تستعجل البلاء والأيم مثل الحية الرقطاء ، يقول:

توقَّ النساء على عفة
ليجزيك الواحدُ القيّمُ
فأبكارُهُنَّ ابتكار البلاء
وأيّمهن هي الأيّمُ

وكان شاعرنا ينفر من المرأة ويرى أن الخير في عدم الارتباط بها زوجة لأنها كالاسد تفترس من يقترب منها ، نظراً لقدرتها على التحايل من أجل تحقيق رغبتها ، يقول:

تواقوا سبيلَ الغَانيَات فَكُلُّها
كَلَيْثِ الشَّرَى والطّيبُ منْهَا فَرَائق
(اللزوميات٢/٢٥١)

وكان شاعرنا يتحفظ على حج المرأة لما في ذلك من مخالطة للرجال ومزاحمة عند رمي الجمار ، فإن هي التزمت بيتها وصامت وصلت ورعت أولادها كان خيراً لها ، يقول:

أتَتْ خَنْسَاءُ مَكةَ كالثُّريا
وخَلّت في المواطن فرقديها
ولو صلت بمنزلها وصامت
لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات ترمي
وأبصار الغواة على يديها
وليس محمّد فيما أتته
ولا الله القدير بمحمّديها
إذا ما رامت العلوان جودٌ
يظن هناك اول ملحديها
(اللزوميات١/٦٢)

وكان المعري لا يثق بالمرأة لدرجة أنه دعا إلى أن تعلم المرأة الغزل والنسج بدلاً من تعلمها القراءة والكتابة وأن تحفظ من القرآن ما يمكنها من أداء صلاتها فقط ،

فلا تحفظ أكثر من قصار المفصل لأنها إن هي تعلمت تمتلك سلاحاً قوياً ربما استخدمته ضد الرجل والمجتمع وشقي الرجل، يقول :

علِّمُوهنَّ الغَزْلَ والنَّسْجَ والرُّدْنَ
وخلُّوا كِتَابَةَ وقِـــرَاءة
فصلاةُ الفتاةِ بالحمدِ والاخلاصِ
تجزي عن يونُسِ وبراءة
(اللزوميات٢/٩١)

رأيه في الزواج والنسل:

إذا كان ما سبق يمثل نظرة أبي العلاء المعري إلى المرأة بأنها هي الشر ومفتاحاً للشر ، فكان من الطبيعي أن يعزف عن الزواج والارتباط بهذه المرأة.

وثمة أشياء جعلت شاعرنا يعزف عن المرأة والزواج تتمثل في:

أ) الزهد في الدنيا والعفة والفقر، وقد ذكر ذلك بنفسه فقال " أقول أنِّي أول العمر إلى آخره ، يظن بي الثراء واليسر لما أعانيه من التقنع والاستغناء عن الناس(أبو شاويش،١٩٨٩م،ص١٢٧).

ب) الشفقة على الولد والخوف عليه من مصائب الدنيا، يقول :

إذا ما اسْتَهَلَّ الطِّفْلُ قَالَ وُلَاتُهُ
وإنْ جمعوا عَانَ الخُطُوبَ وَرَشْقَها
(اللزوميات١/٢٧٥)

فبكاء الطفل عند ولادته إيذاناً بشقاء ومعاناة تقابله سائر حياته .

ت) سوء الظن بالمرأة : حيث يرى أن النساء فتنة وغواية للرجال يجلبن العار ويضيعن الشرف الأصيل ، يقول :

ألا إنَّ النساءَ حِبالُ غيٍّ
بِهنَّ يُضَيَّعُ الشَّرفُ التليدُ
(اللزوميات١/٢٧٥)

لهذه الأسباب وغيرها دعا المعري إلى ترك الزواج والتناسل ففي شعره الكثير من هذه المعاني إذا كانت على لسانه أو على لسان شخصية أخرى استنطقها معبراً بها عن رأيه مثل قوله في الدرعيات على لسان امرأة توصي ابنها بترك الزواج ، يقول:

فحنّ إلى المكارم والمعالي
ولا تثقل مطاك بعبء حنَّة
(سقط الزند ،ص٣٩٦)

ويمضي أبو العلاء في تنفير الناس عن الزواج والنسل ، فيعتبر النسل جناية الآباء على أبنائهم ، لأنهم سبب وجودهم في دنيا الشقاء وإذا هم عفوا آبائهم فذلك يكون مكافأة لهم على جناية النسل ، يقول :

جنى أبٌ وضع أبناً للأذى غرضاً
إن عفَّ فهو على جرم بكافيه

وقد أنكر أبو العلاء المعري على النساء أنهم يكنون الأطفال ولم يبلغوا الحلم بعد بأبي فلان وأبي فلان ، وإن ذلك فساد في الرأي والتفكير ، يقول:

من عثرة القوم أن كنّوا
أبا فلان ولم ينسل ولا بلغا
(اللزوميات٢/٤٥)

لذلك يرى أبو العلاء المعري أنه إذا أراد الناس بأبنائهم خيراً يتركوهم على ظهورهم لأن بقاء النسل في الأصلاب راحة للمولود من مصائب الدنيا ، يقول :

وإذا أردتم للبنين كرامة
فالحزم أجمعُ تركهم في الأظهُر
(اللزوميات١/٤٧٢).

ولقد لخّص المعري دعوته تلك بصورة واضحة لا غموض فيها ولا لبس حيث دعا إلى عدم الزواج والنسل بقوله :

فإن أنت لم تملك وشيك فراقها
فحف ولا تنكح عوانا ولا بكرا
والفاك فيها والداك فلا تضع
بها ولداً يلقى بالشدائد والنكرا
(اللزوميات١/٣٩٧).

هذه الدعوات التي جاء بها المعري لم تجد أذنا صاغية من الناس في عصره ومضوا يتزوجون ويتناسلون لذلك دعاهم المعري ثانية إلى دعوة أخرى أقل تشدداً من الأولى ، فدعاهم إلى البحث عن الزواج للبنات وتخويف الأبناء من التناسل ، يقول :

فاطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها
وخَف ابنك من نسل وتزويج
(اللزوميات١/٢٢١).

فيجب على المرء أن يحذر ابنه من النسل والتزويج حتى لا يجلب الشقاء لذريته،فالمعري بهذه الدعوى يريد أن يقطع نسل البشرية لتتوقف الحياة .

خاتمة :

هذه هي آراء أبي العلاء المعري في الحياة والموت والزواج والمرأة فقد صاغها من خلال شعره بصور مختلفة عكست إلى مدى بعيد ما كان يعيشه من تشاؤم وتزمت من الحياة والناس أثّرت آثاراً كبيرة على سيرة حياته مما جعلته ينفصل عن مخالطة الناس ليسمي نفسه برهين المحبسين .

نتائج البحث:

خرج هذا البحث بعدة نتائج أهمها:

١- المصائب والظروف المعقدة التي مرّ بها أبو العلاء المعري هي التي شكلت آراءه في الحياة والمرأة والموت.

٢- لم يكن العزوف عن الزواج عنده نتيجة مرض أو علة بل كان عنده شئياً قريباً من العقيدة والمنهج .

توصيات:

بما أن الخوض في شعر و فلسفة أبي العلاء المعري في الحياة من الأمور الشائكة، يوصي الباحث بمواصلة البحث في ما يخص آراء أبي العلاء وفلسفته وشعره ودراسة ذلك دراسة متأنية تصل إلى مزيد من النتائج الجيدة.

المصادر والمراجع

١-ياقوت الحموي،معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، ط١ ،دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨

٢-ابن خلكان،وفيات الأعيان،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،المجلد الأول

٣-طه حسين وآخر،شرح لزوم ما لا يلزم،د.ط،دار المعارف مصر،د.ت

٤-شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات(الشام) ،ط٢،دار المعارف،د.ت

٥-ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء،تحقيق إبراهيم السامرّائي،د.ط،مكتبة المنار الأردن،د.ت

٦-ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان،د.ط،موقع الوراق،د.ت

٧-الذهبي ، سير أعلام النبلاء،د.ط،موقع الوراق،د.ت

٨-أبو العلاء المعري، اللزوميات،د.ط،د.ت

٩-أبو العلاء المعري،سقط الزند،د.ط،د.ت

١٠-عمر فرّوخ،حكيم المعرة، ط٢،دار لبنان للطباعة والنشر بيروت، ١٩٨٦م

١١-حماد أبو شاويش،النقد الحديث حول شعر أبي العلاء المعري،ط٢، دار إحياء العلوم بيروت ، ١٩٨٩م

١٢-أبو العلاء المعري،زجر الناب،د.ط،د.ت

١٣-جلال الدين السيوطي،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٢،دار الفكر، ،د.ط،د.ت